

إصلاح المدرسة: بُعدٌ مهمٌ في الحرب على الإرهاب

الميجر تود شميدت: الجيش الأمريكي

الحرب العالمية على الإرهاب هي حرب أفكار. لقد سمعنا هذا التصريح و تصاريح متشابهه بشكل متكرر على مدى الخمس سنوات الماضية. قرأنا ذلك في الصحف والمدونات. سمعنا بها من قادتنا وساستنا. ومع أنه تعبير واضح إلا أنه، وعلى نطاق واسع، لا يلقى الاهتمام الذي يستحقه.

لقد ألزمت الحكومة الأمريكية نفسها على بذل الجهود القوية، والمركزة والضرورية للقتال في "حرب الأفكار" باستخدام الاتصالات الإستراتيجية وعمليات جمع المعلومات و العمليات النفسية و الشئون المدنية. وبغية تعزيز ذلك الجهد شرع الجنود الأمريكيان في جميع قبعات للأطفال الرضع وكرات كرة القدم و الملابس المستعملة لتوزيعها على أطفال أفغانستان والعراق. ولكن أفعال الجنود الحسنة النوايا وتلك التي يقوم بها رؤسائهم في الجيش و الحكومة لم تكن فعالة إلى حد كبير. أن الترويج للنوايا الحسنة عبر المساعدات الإنسانية و البوادر الحسنة أعطى القليل من النتائج الطويلة المدى. لأن هذه النشاطات لا يمكنها بنجاح تحدي القوى الأيدلوجية التي تشل ثقافة الشرق الأوسط - تلك الثقافة هي جذور الصراع بين الإرهابيين الإسلاميين و الغرب. وبغية كسب حرب الأفكار بات لزاما على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها مجابهة تشكل المواقف المتطرفة في مكان ولادتها و غرسها في الأذهان. أي نظام المدارس الإسلامية.

الإسلاميين المتشددين الذين يعتنقون العنف يدركون أهمية التعليم كنقطة ارتكاز في الحرب. وهم يقومون بتنظيم خطوط عملهم على فرضية أن التحكم في المجتمع على المدى الطويل يبني على أسس ما يتم تعليم الجيل الصاعد من المسلمين على الإيمان به -- تعليم الشباب المسلم أمر حاسم لتحقيق الأهداف البعيدة المدى للإسلاميين. فحركة طالبان، على سبيل المثال، هاجمت المدارس غير الإسلامية، اغتالت مدرسين، وبثت الرعب في نفوس الآباء و الأبناء. في عام 2006 قامت الحركة بتدمير أكثر من 200 مدرسة وقتل 20 مدرس، وأخرجت أكثر من 200.000 طفل من الصفوف الدراسية.¹

على الولايات المتحدة القيام بجهد كبير لإعادة قولبة نظام المدرسة بحيث يركز التعليم في العالم الإسلامي بشكل أقل على تشكيل أيدلوجيات الكبت الدينية.

كل المعارك تؤل بالنصر أو الهزيمة بداية من العقل.

-جون آرك

Reforming the Madrasah: A Disregarded Dimension in the War on Terrorism

Major Todd Schmidt,
U.S. Army

Published originally in the May-June 2008 English Edition.

الميجر تود شميدت، جيش الولايات المتحدة، يعمل حاليا في وزارة الدفاع الأمريكية بالبنناغون. شغل في الفترة بين 2004-2005 منصب منسق عمليات معلومات جنوب القيادة الإقليمية ضمن فرقة العمل برونكو OEF-V. أسس أيضا لعملية درمسيد، 501 (ج) (3) وهي منظمة غير هادفة للربح تدعم مبادرات التعليم في أفغانستان والعراق وكوسوفو وكولومبيا ونيكاراغوا

صورة: مدرسة أثناء التعمير تنتظر طالبا ومعلمين من ولاية باغرام في أفغانستان وذلك في 16 من تشرين الأول من عام 2002. جنود أمريكيين من كتيبة تنسي 489 للشؤون المدنية وهم يقومون بإعادة بناء المدرسة والتي دمرت من قبل حركة طالبان. (الرقيب تود م. روي، الجيش الأمريكي) وزارة الدفاع الأمريكية

الإسلام محافظةً وتقليديَّةً² تم اعتبار المعرفة الحديثة على أنها «غير إسلامية» و«دنيوية». وتم حذف الكثير من مناهج الدراسة في المدارس الدينية عدا مناهج الأصولية المذهبية أو التطبيق الدقيق للتعاليم الدينية. أخذت المدارس الدينية تركز أساساً على الحفظ - حفظ القرآن في الذاكرة. و بالإضافة إلى ذلك، الطلاب الراغبين في أن يصبحوا (علماء) تلقوا مناهج دينية إضافية تعدهم كي يصبحوا قادة (أئمة) في مدنهم وقراهم.

ولا تزال الكثير من المدارس اليوم تتبع نظام الحفظ. وعلى الرغم من أن مناهجها أساسية فإن هذه المدارس غالباً ما تكون الشكل الوحيد المتاح من أشكال التعلم للأطفال من البيئات الأكثر فقراً وأشد بأساً. ونظراً للزيادة المطردة في عدد السكان المحرومين في العالم الإسلامي فإن المدارس الدينية توسع نفوذها عن طريق ملء الفراغ التعليمي الذي جأهلت الحكومات. وكثيراً ما تعمل المدارس الدينية كمدارس داخلية، توفر وجبات الطعام والرعاية للأطفال الذين لا يستطيع آباؤهم حمل هذا العبء. يتلقى الطلاب دروساً مكثفة في منهج الحفظ حيث يدور فلك عالمهم حول تعاليم الإسلام، ولكن يتم إطعامهم وإيوائهم بشكل آمن. و تقوم المدارس بتقديم دليل تعليمي "أرخص وسهل المنال وأكثر توجهاً نحو الإسلام" وهو مناسب للأمين و للفقراء³.

وتشير التقديرات إلى وجود مئات الآلاف من المدارس الدينية النشطة. الأئمة الشباب يقومون بإنشاء وإدارة مدارس دينية خاصة بهم في مدنهم وقراهم بشكل مستمر. ولأن الإمام غالباً ما يكون هو الشخص المتعلم الوحيد في البلدة ومؤهلاً لإمامة الصلوات اليومية وحفلات الزفاف والجنائز والاحتفالات وغيرها من الطقوس. فإنه يحظى هو ومدرسته باحترام كبير ويتمتع بنفوذ كبير.

إن الشباب السريع التأثر الذي يترعرع في المدارس الدينية التي يتبنى فيها الأئمة التعصب وتعاليم

وأن تركز بشكل أكبر على تدريس المهارات اللازمة لتطوير وعولمة الاقتصاد. وعلى التفكير الديناميكي و الاستقلالية، وممارسة حرية المبادرة. في النهاية سيعتمد الانتصار في حرب الأفكار على مدى فعاليتنا في إقناع زعماء المسلمين بأن إصلاح المدارس هو في مصلحة مجتمعاتهم والعقيدة الإسلامية.

نظام المدرسة

موت طالب العلم هو موت للمعرفة - النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

المدارس الدينية هي المصدر الرئيسي للتعليم في العالم الإسلامي (مركز التعليم)، وهي مفهوم يعود تاريخه إلى القرن التاسع. و يمكننا تتبع جذوره إلى جماعات الطلبة (طالبان تعني: «طالب العلم») في المساجد لتعلم المزيد عن القرآن الكريم، والشريعة (الفقه الإسلامي) و الأحاديث (أقوال النبي محمد)، وتاريخ الإسلام، الأدب والرياضيات والعلوم. معظم مساهمات العالم الإسلامي في العلم نشأت في المدارس الدينية القديمة.

وفي ذروة الاستعمار الأوروبي، حدث تغير ملحوظ في المناهج التعليمية للمدارس الدينية. حيث تم التركيز على دراسة القرآن الكريم، والأحاديث، والشريعة كثيراً. في حين تم اعتبار المواد العلمية أقل أهمية. بحلول منتصف القرن التاسع عشر، و لمواجهة التهديد الذي يشكله المبشرين المسيحيين الأوروبيين والأفكار الغربية، اكتسبت الدراسات الدينية زخماً أكبر. وظهرت نظرة معادية للمعرفة الغربية، نتيجة الاعتقاد بأن الإسلام كان تحت حصار ديني غربي عن طريق إدخال أفكار جديدة تعارض المعتقدات والقيم الإسلامية.

مع عدم القدرة على إلحاق هزيمة بالقوى الاستعمارية في معركة فعلية، اعتنق المسلمين بشكل مدروس مبدأ "الجهاد التعليمي"، الذي يحث على أكثر التعاليم

الموقف التعليمي الحالي في الشرق الأوسط في حالة مزريّة جداً لدرجة أن مفكّر مشهور مختص بشؤون السياسة الخارجية صرّح قائلاً: "لا يوجد نظام تعليم جدير بهذه التسمية في الدول الواقعة شرق إسرائيل"¹². وهذا تصريح خطير جداً، وواحد من النقاشات المستمرة في قاعات الجامعات في جميع أنحاء الشرق الأوسط. ومع ذلك، فإن المدارس الدينية التي يحضرها العديد من الأطفال المسلمين لا تعد طلابها ليكونوا جزءاً من القوة العاملة الحديثة، أو أن يصبحوا مواطني نظام اجتماعي سلمي مستقر. فتعليمهم لا يعدو عن تلقين مطول لشكل متطرف من أشكال الإسلام هدفه الوحيد هو تعزيز التعصب، الأمر الذي يؤدي إلى العنف ويسبب عدم الاستقرار السياسي.

ظهرت الصلة بين العنف المدني وبين تعاليم المدارس الدينية في العديد من البلدان.¹³ ولو تعلم الملايين من الطلاب مجرد تلاوة أركان الإسلام عن طريق الحفظ عن ظهر قلب، وتزايد النسبة المئوية للمعلمين الداعين إلى العنف، والفكر المتطرف، ستكون النتائج خطيرة للغاية. يتم قبول مئات الآلاف من الطلاب في أوكار الإرهاب، ومفارخ الانتحاريين، ومخازن أفكار القرون الوسطى¹⁴ وباختصار، فإن التعليم في المدارس الدينية هو على المديين القصير و الطويل تهديد للغرب.

نفوذ الأصوليين

التاريخ الإسلامي ملئٌ بالإججازات والمساهمات الفريدة للجنس البشري. لكن محمد نبي الإسلام (صلعم) كانت لديه رؤية إستراتيجية لنشر الإسلام: "فإن الله واحد في الشرق والغرب"¹⁵. وكدين تبشيري منزل، يتشارك الإسلام مع الأديان الأخرى برؤية الحاجة للانتشار، التبشير، الهداية وجذب العالم نحو عقائده وتعاليمه. إن أتباع كل مذهب من مذاهب الإسلام لديهم طموحات عالمية، والتي للأسف تعبر عنها بعض الحركات بطريقة يطلق عليها البعض «الأمراض المعولة»¹⁶. وبالنسبة لهذه الطوائف، يعد نظام المدارس الدينية سلاح حاسم للجهاد.

العنف يكون الجند الرئيسي للقضايا المتطرفة. الانتشار الواسع للتقارير التي تظهر تلك المدارس الدينية والعاملين بها، جعلت الكثيرين في الغرب ينظرون إلى تلك المدارس على أنها رمز من رموز الإسلام المتطرف. وغالباً ما تعكس الكتابات الغربية تلك الرؤية. صحيفة نيويورك تايمز وصفت نظام المدارس الدينية بأنه «نظام تعليم الجهاد»⁴. أما اندريه كولسون المختص بالتحليلات السياسية فقد وصم بطريقة ذكية، المدارس الدينية باسم «أسلحة الدمار الشامل»⁵. كما أشار تقرير للجنة 11/9 إلى تلك المدارس بأنها «حاضنات التطرف العنيف»⁶.

المدارس الدينية الباكستانية الواقعة تحت سيطرة الأئمة المتطرفين حظيت باهتمام وسائل الإعلام. ويعزى التأثير الكبير للمدارس الدينية في باكستان بشكل كبير إلى النقص الحاد والمستمر في الاستثمار في التعليم من قبل الحكومة الباكستانية.⁷ وطبقاً لتقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية عام 2004 تصنف باكستان بمرتبة أدنى من كل البلدان غير الأفريقية على مؤشر التعليم.⁸ وتقوم حوالي 10000 مدرسه دينيه بسد تلك الفجوة، والتحق بها ما يقرب من مليوني طالب.⁹ وعلى فرض أن نسبة صغيرة فقط من هؤلاء الطلاب تحولوا إلى متطرفين واختاروا تبني الجهاد، فيمكن لتلك المدارس أن تقوم بتخريج مئات الألوف من الأعداء المتطرفين الذين يعتزمون الجهاد ضد الغرب غير مكرثين بالعواقب الشخصية. وبالطبع، هذا الوضع سبب موجب للقلق.

الأئمة التقدميين والعلماء الذين يتجرؤون على اقتراح توسيع مناهج المدارس الدينية لتشمل المزيد من الدروس العملية القيمة غالباً ما "يتم إسكاتهم وأهانتهم أو طردهم من ديارهم"¹⁰. وحسب رأي عبد الحميد أبو سليمان، رئيس المعهد الدولي للفكر الإسلامي، أن العالم المسلم عالق بين مطرقة الملا الجاهل الذي يهدده بجهنم وسندان الحاكم الفاسد الذي يهدده بالسجن.¹¹

عدواني. وعنيف. قدمت التعاليم الوهابية الدعم الديني إلى آل سعود في غزواتهم في شبه الجزيرة العربية. و تستمر حتى اليوم في تبرير وتسويغ مبررات نشر المذهب الوهابي من خلال العنف. وحتى الجهاد الإرهابي. بسبب زواج ابنة محمد ابن عبد الوهاب. مؤسس الطائفة من أحد أفراد الأسرة الملكية في منتصف القرن الثامن عشر. تستمد الوهابية معظم دعمها المادي من أتباعها في الأسرة الملكية السعودية والعائلات السعودية الثرية.

زعماء المسلمين الواقعيين تحت سيطرة تلك الحركات الثلاث. يتشاركون الرغبة في الحد من التعرض الشعبي للأفكار غير الإسلامية. يخشى هؤلاء أن التداخل الثقافي وشبكات الاتصال التي لا يمكن التحكم بها والناجئة عن العولة التجارية. قد تتسبب في استسلام العالم الإسلامي إلى الحياة الغربية أو الأمريكية "الغريبة" أو "الأمركة".¹⁷ ولذا يبذلون جهوداً حثيثة لعزل أتباعهم عن الأفكار التي يرون أنها مغايرة للإسلام. سيكون من الصعب إقناع هؤلاء القادة أن إصلاح المدرسة سيكون في صالحهم وصالح شعوبهم.

من ناحية أخرى. يبدو أن الاتصالات العالمية تخترق أكثر المجتمعات كراهية للأجانب. على الرغم من كل الذم المناهض للغرب و الطبيعة المنغلقة للنظام المدرسي الديني. يؤكد العديد من المراقبين أن التعرض للاتصالات العالمية يبدو أنه يخلق حالة من التغيير في الأماكن المحرومة. فالتناس في البلدان ذات الثروات المحدودة أو الغير كافية حيث لا تقدم المدارس مستوى التعليم المطلوب القادر على المنافسة في سوق العمل العالمي. يمكنها التعرف على مستوى رفاهية الآخرين. وهذه الرغبات. عند عدم إشباعها. ستؤدي في نهاية المآل إلى عدم الاستقرار والعنف. وكما أشار أكبر أحمد. الرئيس الحالي لقسم الدراسات الإسلامية في الجامعة الأمريكية والسفير الباكستاني السابق في المملكة المتحدة. إلى «حدوث انهيار عندما تكون نسبة كبيرة من إجمالي السكان

بوجه خاص هناك ثلاث حركات جميعها تنتمي للمذهب السني تسعى لاحتكار المدارس الدينية ووضعها تحت تأثير مفاهيمها: فالحركات الديوباندية والسلفية و الوهابية هي حركات متمزمة أصولية متقيدة بأصول الشريعة تؤكد على نشر رؤيتها للإسلام. غير أن الحركة الديوباندية تستنكر العنف تجاه غير المؤمنين بينما تدافع السلفية و الوهابية عن ذلك. والمبشرين المنتمين للطوائف الثلاث يمتازون بالمهارة و التمويل الجيد والشخصية الجذابة ويعد تأسيس المدارس الدينية أينما ذهبوا أحد الأساليب المفضلة لديهم.

نشأت الحركة الديوباندية في الهند إبان الحكم البريطاني. ونتيجة الخشية من أن التنافس مع الثقافات الهندوسية و البريطانية قد يؤدي تدريجياً إلى اضمحلال الإسلام ومن ثم اختفائه أو تلاشيهِ. أدى ذلك إلى إحياء الحركة الدينية فيما بين المسلمين الذين دعوا إلى الاستقلال عن الاستعمار الاغليزي عبر لتعليم. نتيجة لذلك. أصبح نظام المدارس الدينية متأصلاً في المناطق الإسلامية من المستعمرة الهندية. التي أصبحت الآن جزءاً من باكستان. طالبان أفغانستان متأثرون تماماً بالتزمت الديوباندي. ويعتمدون على طلاب من المدارس الدينية الباكستانية التي أسستها الديوباندية.

أما أتباع السلفية والوهابية. وغالبا ما يستخدم المصطلحين بصورة متداخلة. يرغبون بدورهم في السيطرة على نظام المدارس الدينية. نشأت السلفية من تعاليم ابن تيمية والذي قام بالتفسير الحرفي للقرآن في القرن الرابع عشر حسب رؤية الرعيل الأول من المسلمين أو ما يعرفون باسم "السلف الصالح" وقرر ابن تيمية تطهير الإسلام من كل الشوائب الحديثة.

نشأت الوهابية من انتعاش السلفية في القرن الثامن عشر. نشأت في المملكة العربية السعودية حيث ارتبطت بالأسرة الملكية السعودية ارتباطاً لصيقاً. وتدعو الوهابية إلى شكل من أشكال الإسلام. متقشف.

خلال الحرب السوفيتية الأفغانية التي نشبت في الثمانينات، قدمت الولايات المتحدة قرابة 3,3 مليار دولار، وقدمت المملكة العربية السعودية مبلغ إضافي قدره 1 بليون دولار، إلى الحكومة الأفغانية والقوات المناهضة للشيوعية. تركز كل ذلك هذا التمويل والمقاتلين ضد السوفيت و الدعم اللوجيستي و القواعد في باكستان، حيث كانت الأموال توزع من خلال الاستخبارات الباكستانية.¹⁹ وكانت النتيجة الفورية أن عشرات الآلاف من المقاتلين الأفغان تدربوا وشهدوا الصراع تحت مظلة الجهاد المقدس ضد الغزو السوفيتي لأرض إسلامية (مع دعم عدة آلاف من المقاتلين غير العرب الذين انضموا للقضية).

ويؤكد صامويل هانتجتون أن نسبة 75 بالمائة من الدعم الأمريكي لتدريب المسلمين ذهب إلى أيدي «الجماعات الأكثر أصولية، ونسبة 50% من الإجمالي ذهبت إلى أكثر الجماعات السننية الأصولية تطرفاً».²⁰ معظم التدريب الذي مولته أمريكا تم في المدارس الدينية، بالتالي نتج

في العالم الإسلامي هي من الشباب، الأميون إلى حد خطير. وغالبيتهم عاطلين عن العمل».¹⁸ للوصول إلى هؤلاء الشباب، ينبغي على القادة الإسلاميين توسيع رؤيتهم إلى ما وراء القيود الأصولية. إن الاستثمار الواسع في قطاع التعليم داخل تلك البلدان قد يساعد في تشكيل إطار عمل للتنمية الاقتصادية و من ثم تجنب عدم الاستقرار.

المساعدات الأمريكية للأصولية

تحمّل الولايات المتحدة بعضاً من المسؤولية تجاه مشكلة المدرسة الدينية في الشرق الأوسط. ففي خضم الحرب الباردة، استسلم القادة الأمريكيين لمبدأ «عدو عدوى هو صديقي» و انتهجوا سياسات في أفغانستان دون النظر في العواقب أو النتائج المحتملة. عبر القيام بذلك و بدون قصد ساهمت في رفع درجة راديكالية النظام المدرسي الديني في باكستان، وبالتالي في أماكن أخرى من الشرق الأوسط.



مجاهد أفغاني يوضح عملية التمركز لكيفية إستعمال صاروخ أرض - جو . أب 1998 .

ماذا لو دخلت سلعة منافسة في سوق الأفكار الإسلامية؟ أي دوافع قد تغري المسلمين للبحث في أفكار ومفاهيم بديلة؟ مثلاً، و ماذا لو كانت تلك السلعة عبارة عن تعليم كلاسيكي ليبرالي مؤلف من أفكار ومعتقدات و مجالات دراسية غير متاحة في المدرسة الدينية الواقعة تحت السيطرة؟ ماذا لو أتيح نظام تعليم يقوم بتدريس العلوم و الرياضيات و الهندسة و فن العمارة، وليس مجرد محو للأمية من خلال استظهار وتلاوة القرآن؟ عوضاً عن تشجيع وإجلال العنف ضد الكفار والمرتدين، ماذا لو دعمت الحكومات الإسلامية التعليم المبني على الفن و الأدب و الفلسفة و التسامح؟ ماذا لو قدم التعليم التدريب اللازم لتخريج قوى عاملة ماهرة يمكنها أن تدعم الاقتصاد وتخفف معدلات البطالة؟ وإذا كان لهذا الوقت أن يأتي، للقيام بمثل هذه المبادرات في مواجهة الجهود المستمرة لاحتكار عقول الشباب المسلم، فقد حان ذلك الوقت و السؤال الذي يطرح نفسه هو "كيف؟"

حول العالم، توجد 55 دولة مسلمة و ما يزيد على بليون مسلم (منهم عشرين مليون في الولايات المتحدة)²² العالم الإسلامي عالم شاسع ولكنه غير متجانس في الأيدلوجية و لا في مناهج الدارس الدينية. هناك مذاهب و طوائف و حركات و مدارس فكر تكتنف جنبات العالم الإسلامي تتمتع ببصيرة ممتازة إذا ما قيست بالديوباندية و السلفية و الوهابية، بالتالي، توجد فرص لتشجيع تنوع الفكر عبر الترويج للفوائد التي ستعود على الشعوب و الثقافة الإسلامية نتيجة الأفكار الجديدة و التفكير النقدي و المهارات التقنية.

وعلى من سيتولى إصلاح نظام المدارس الدينية التعليمية، تقديم مناهج تعليمية ترعى و تحفز المهارات التقنية و القدرة على التفكير و التحليل و التمحيص. يجب أن تركز المناهج على الأسس الأربعة الرئيسية الضرورية لتوفير التعليم المتكامل:

عن المعونة الخارجية التي قدمتها الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة لحلفائها المسلمين نتيجتين لم تكونا في الحسبان: فهي ساعدت على تلقين العقيدة، تدريب و تجهيز فيالق من المجاهدين الذين يتمتعون بخبرات قتالية عالية و معظمهم ينتمون للمذاهب الإسلامية الأكثر معاداة للغرب و الحداثة. كما أنها سهلت و أعطت زخماً لتنظيم نظام تعليمي ينشر أيدلوجية التطرف و العنف. بعد نهاية الحرب الباردة و جدت الولايات المتحدة و حلفائها المسلمين أنفسهم، وبشكل متزايد، أنفسهم على طرفي نقيض. و أدركت الولايات المتحدة أنها قد ساعدت على خلق نظام أنتج و ما زال ينتج أيدلوجيات و مقاتلين معادين للغرب.

وعلى ما يبدو أن الزعماء الأمريكيين لم يستوعبوا حتى الآن العبر المستخلصة من تلك التجربة، حتى مع استمرار المدارس الدينية في تلك البلدان في تخريج مجاهدين معادين للغرب، و بقيت السياسة الأمريكية في أفغانستان و باكستان تركز بشكل تام على تقديم المساعدات العسكرية و الاستخبارية، وليس على التنمية الوقائية للاقتصاد و التعليم. منذ عام 2002 حتى الوقت الراهن، أنفقت الولايات المتحدة عدة بلايين من الدولارات لدعم و مساندة جهود الأمن القومي و العسكري لأفغانستان و باكستان، في الوقت الذي أنفقت فيه أقل من بليون دولار على مبادرات تحسين التعليم في تلك البلدان.²¹

مكافحة المرض أسبابه و اعراضه

تتزايد أعداد المسلمين التي لا تجد بديلاً تعليمياً لها سوى نظام المدرسة الدينية و تعاليمها المتطرفة. المتطرفين الإسلاميين يحتكرون بصورة فعّالة توجيه العقل الإسلامي بتحكمهم و سيطرتهم على الأفكار المنتشرة عبر تلك المدارس. وفي نفس الوقت يلجأون إلى سحق الأفكار المنافسة باستخدام العنف.

- الجودة العامة للمناهج الدراسية.
- التأكيد على العلوم الحديثة والعلوم الإنسانية
- طرق تدريس صحية
- أنشطة مكثفة مصاحبة للمنهج تؤدي في نهاية المطاف إلى توظيف هادف.

عبر تدريس العلوم الحديثة و العلوم الإنسانية لآبد أن يسعى المربين إلى خلق تلاميذ لديهم القدرة على التفكير و الحديث و الكتابة المنطقية برشاقة و تماسك و القدرة على تقييم البيانات و تقييم المعرفة و استخدام لوغريتمات حل المشاكل بمهارة و بشكل صحيح.²³

أحد الخيارات المتاحة لزعماء الشرق الأوسط. هو وضع معايير وقوانين إلزامية للتعليم. لكن بالرغم من ذلك. تبين أن المعايير والنظم التي يتم وضعها داخلياً وبالإجماع ويتم حفيظها بالمبادرات و التمويل الإضافي تكون أكثر نجاحاً. «فالتغيير الأمثل» كما يقال «يأتي من الداخل»²⁴

لتحقيق الإصلاح التعليمي. لآبد أن يقبل المسلمون فكرة أن المفهوم التاريخي الضيق الذي اتخذ فيه القادة الإسلاميين قراراتهم في الماضي لم يعد يصلح بعد الآن. و بالتالي لآبد من تغيير التعليم و المعرفة الإسلامية. لكي يزدهر الإسلام و ينتعش المسلمون في العالم المعاصر. لآبد للأمة الإسلامية أن تتبنى العلوم الحديثة. ببساطة من أجل استمرارية ديانتها. كي يتمكن أتباع الإسلام من الاضطلاع بمسؤولياتهم في نشر تعاليم النبي (صلعم) في عالم حديث لم يعد بالإمكان فيه نشر الأيمان بالقوة و الإكراه. لآبد للمسلمين أن يتمتعوا بتعليم جيد. فالعديد من الآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث تدعم هذه الحجة لأنها تقول أن « للعلماء مراتب أعلى من مراتب المتعبدين والشهداء»²⁵.

النموذج الهندي

بسبب الروابط. فيما يخص التقاليد المشتركة. التي تربط بعض المدارس الدينية الهندية الرائدة بمدارس في أماكن أخرى خاصة باكستان . بنغلاديش و نيبال. والتأثير

الذي يملكه علماء المسلمين الهنود. منذ القرن الماضي. على المسلمين في دول أخرى. فإن إصلاحات نظام المدارس الدينية في الهند هي أكثر ارتباطاً بالموضوع من المجتمع المسلم الهندي وحده.

يوندري سيكاند- إصلاح المدرسة الدينية الهندية²⁶

قامت الهند و باكستان في الماضي بتطبيق أسلوب متشدد لإصلاح المدارس الدينية الداعية إلى العنف و الإرهاب. في باكستان. في منتصف الثمانينات. اقترحت الحكومة تحويل تلك المدارس إلى «فصول الدراسة الابتدائية التابعة للمسجد» عبر إضافة مواد علمانية مثل الرياضيات و العلوم. و مع ذلك فقد باءت المبادرة بالفشل بسبب الشكوك حول نوايا الحكومة و بسبب عدم امتلاك الأغلبية العظمى من الأئمة في المدارس الدينية في الريف على تعليم رسمي و كونهم غير قادرين على تدريس المواد الأساسية.²⁷

تلك التجربة جلبت معها التحديات المرتبطة بتغيير النظام الدراسي. بما فيها نقص الموارد و التقاليد الراسخة التي تحمى من فعالية الوسائل العملية التي يمكن اتخاذها لتغيير النظام بسرعة. نتيجة لذلك. حدث تغيير سريع في الوسائل الداعية للإصلاح. و خاصة بالهند.

توجد اليوم في الهند أكثر من 30 ألف مدرسة دينية عاملة. يدير أغلبها رجال دين منتمين للحركة الديوباندية.²⁸ وحتى الفترة الأخيرة. قامت البعض بتدريس اللغة الهندية. الإنجليزية. العلوم و الرياضيات. و على الرغم من ذلك. فإن التغييرات في المناهج الدراسية والتي تؤدي إلى دراسة المواد العملية كانت تتقدم إلى الأمام و لكن ببطء. في عام 2001. أطلق صانعي السياسات الهنود مبادرة تشجيعية. عوضاً عن فرضها. عن طريق طرح برنامج المنح لمدرسي الرياضيات. العلوم و اللغة المعتمدين. قدمت الحكومة الدعم لما يقرب من 3500 مدرسة شاركت في البرنامج طوعية. نتيجة لذلك. قام حوالي 175 ألف طالباً بدراسة المواضيع الحديثة.²⁹

ووسائل التعلم الحديثة. وأيضاً خبرات المعلمين لها أثر عظيم. يمكنهم المساعدة عبر الحث على المشاركة الطوعية. أو على الأقل اعتراض سبيل مدارس المتطرفين التي ترفض تبني برامج تفيد التلاميذ والمجتمع.

مجلس الشيوخ ومجلس النواب فى الولايات المتحدة يفكران بسن تشريعات لتقديم ذلك الدعم، بما فى ذلك اقتراح بإنشاء هيئة تسمى الأثر الكونى و التي من شأنها تشجيع "التعليم العالمى" وستتولى هذه المبادرة جمع الموارد من الدول المانحة وتقدم تلك المنح وفق معايير المصادقية و الأداء . الجهة الدافعة لهذا الاقتراح ستكون مؤسسة حدى الألفية (MCC). وستكون المؤسسة بحاجة لزيادة التمويل المالى للمرحلة الثانية من المساعدات وتوسيع المعايير المؤهلة للحصول على المساعدة.³⁰ لسوء الحظ فأن هذه المؤسسة التي ينقصها التمويل هي الآن مجرد غطاء سياسى لما يمكن أن يكون مساهم أساسى لاهتمامات السياسة الخارجية الأمريكية على مستوى الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID).

وينبغي على البرامج التي تهدف إلى الإصلاح أن تمويل برامج محو الأمية لكل المستويات. وأن تعد الطلاب للاقتصاد العالمى، كما ينبغي أن تكون إجابة الإنجليزية أحد الأهداف وكذلك البرامج المهنية لتخريج قوى عاملة ماهرة وصقل مهارات الطلاب . كما ينبغي إعطاء الطلاب خريجي المدارس المشاركين فى هذه البرامج و الذين يلبون المعايير المطلوبة و الكفاءة ومهارات الكفاءة الأساسية أولوية فى برامج التوظيف. كما أن منح شهادات تضمن التوظيف، ومعترف بها على المستوى القومى، يعد أحد الخيارات التي يجب أخذها فى عين الاعتبار.

برامج التبادل الدولي يمكن أن تستهدف الطلاب المسلمين المحرومين فى المدارس المتوسطة والثانوية وطلاب الجامعات . ينبغي أن نقدم الحافز للشباب المسلم مع التأكيد على إمكانية تلقى أفضل أنواع التعليم المتاح فى الولايات المتحدة كما يمكن للولايات المتحدة وحلفائها

لدى المفهوم الهندي فرصة حقيقة، فإجبار المدرسة الدينية على الإصلاح لن يتأتى له النجاح أبداً فى ضوء معطيات الوضع الراهن فى الهند وباكستان والدول المشابهة. حيث تعد سلطة الحكومة فى بعض الأقاليم النائبة مشكوك فيها وواهية. الهند تقبلت واقع أن نظام المدرسة الدينية يقدم خدمة عامة فى المناطق الريفية و القبلية حيث لا تقوى الحكومة على تقديمها ومع تنامي المدارس القائمة أقدمت نيودلهي بإدارة حسن النوايا حيث وسعت من نطاق المنهج الدراسى.

فى الهند يتم بذل الكثير، وبطريقة جيدة، لكن ولسوء الحظ. فأن التقدم الحقيقى هو فى الأساس مسألة تمويل . هنا يأتى دور الولايات المتحدة الأمريكية عبر افتتاح باب تقديم الدعم بقوة وهدوء. وهذا يصب فى مصلحة الأمة حيث أن تغيرات النظم التعليمية التي تشكل مهارات ومفاهيم الطلاب المسلمين يمكن أن يكون لها بالغ الأثر على أمن أمريكا على المدى الطويل.

توصيات السياسة العامة

سيدور الكثير من الجدل داخل الولايات المتحدة حول كيفية إصلاح المدرسة الدينية - سواء فى العلن أو الخفاء، فالأمثلة العديدة الفاشلة عن التسجيل الإلزامى والتنظيمات التي فرضتها المبادرات الخارجية تشير وبقوة إلى أن الإصلاح الناجح يمكن أن يتأتى فقط من الداخل. لذا على الولايات المتحدة تعزيز الإصلاح من خلال سياسات حكيمة تشجع بدورها على التغيير الداخلى بدلاً من الضغط على الحكومات المنهكة مالياً على فرض تلك الحلول.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو أي السياسات التي يجب على الحكومة الأمريكية أن توليها الاهتمام؟ هناك قائمة من الخيارات تراعى الحس العام ولكنها شاملة منها مبادرات السياسة العامة و لتدابير التي من شأنها دعم المدرسة الدينية فى تقديم باقية واسعة من الموضوعات

توفير برامج تبادل تقدم ورشات عمل، و مؤتمرات، و تطوير مهني لمديري المدارس، وليس المعلمين فقط. وذلك ينبغي أن يكون جزءاً أساسياً لأي برنامج شامل، كما على القادة الأمريكيين الأخذ بالاعتبار كل جوانب سياسة التنمية و التطبيق من خلال التمويل الصحيح والسهل للإشتراك المباشر في برنامج التنمية.

العامل الأكثر أهمية وتأثيراً في حياة أي طفل هو الأبوين. في معظم الحالات، يقوم الأبوين الأميين والفقيرين بإرسال أطفالهم إلى المدرسة الدينية التي توفر لهم المنامة والغذاء. وعلى الرغم من ذلك يظل كلاهما قابلاً في جهله وأميته. علينا إعادة النظر والبدء في دعم تعليم الكبار وبرامج محو الأمية التي تستهدف الآباء المسلمين.

فيما يتعلق بكل أنواع البرامج والسياسات السالفة الذكر، لا ينبغي أن يكون الداعم الوحيد هو الولايات المتحدة، فبالإضافة إلى برنامج التنمية الدولية UASID، يمكن للمنظمات الخاصة الضخمة دعم هذا الإصلاح. فعلى سبيل المثال، بالتعاون مع مبادرة منحة الشراكة مع الشرق الأوسط، أصدرت شركة المطبوعات المدرسية SCHOLISTICS سلسلة من المكتبات للصف السادس الابتدائي باللغة العربية و الفارسية و تسعى الآن الشركة للحصول على دعم من وزارة الخارجية الأمريكية لنشر طبعات بالدارية والبشتية، وحتى الآن وافقت عليها وزارات التعليم في 13 بلداً مسلماً، حوالي 200 للصف الدراسي. قامت الشركة بشحن وتخزين الكتب في دبي، ويتم الآن استعمالها في العديد من المدارس في أنحاء الخليج الفارسي.³¹ علينا أن نبذل جهوداً أعظم لتوزيع منتجات كهذه، ليس للمدارس الحكومية فحسب، بل لآلاف المدارس الدينية المنتشرة في القرى النائية و التي لن تقوى أبداً من حَمَل نفقات مثل هذه الموارد.

علينا أيضاً التفكير بالتوجه إلى المرأة المسلمة بمبادرات التعليم، رعاية وتيسير التعليم لأجيال من

الغربيين من استخدام برنامج تأشيرات الطالب بكثافة أكثر وبتنسيق أكثر عما هو عليه الوضع الراهن. واحدة من الأخطاء الكبرى التي قامت بها الولايات المتحدة في أعقاب 11/9 هو الحد الصارخ لتأشيرات الطلاب المتاحة للبلدان الإسلامية و الطلاب المسلمين، ومبادرة أخرى يمكن أن تتمثل في تمويل برنامج منح دراسية للجامعات الأهلية لخريجي المدرسة الدينية المتفوقين.

هناك قدر عظيم من المساحة لنمو البرامج التي تقدم التثقيف المهني للائمة ومعلمي تلك المدارس. ينبغي على الغرب تمويل التدريب الأكاديمي الأهلي الذي يرخص للمدرسين العمل في التدريس في التعليم الدنيوي مع تقديم كادر مدرب من الموجهين بنفقات قليلة أو بدون نفقات. وسيعد ذلك حافز عظيم للمدرسة الدينية للمشاركة في برامج الدولة الهادفة إلى الصقل المهني بالإضافة إلى أن الشهادات و التدريب الأكاديمي سيمنح طلابهم مدخلاً إلى البرامج ذات الصلة و الموارد الحكومية مثل برامج وجبة الغداء، والأدوات المدرسية، و برامج التبادل الخارجي و برامج التدريب. برنامج زيارة المعلمين أثناء الصيف إلى الولايات المتحدة على سبيل المثال، هو وسيلة فعالة في بناء جسور النوايا الحسنة و التفاهم بين الثقافات.

كما ينبغي علينا أن نشجع الجهد المتناغم من قبل الولايات الفردية في الولايات المتحدة الأمريكية و تحفيزها بالدعم الفيدرالي، لتسهيل برامج الشراكة في الرياضيات و العلوم مع المدارس الأجنبية. التعاون مع المدارس الشريكة و تبادل الأفكار في الرياضيات و العلوم سوف يعزز قدرة المدرسة الدينية المشاركة على اكتساب الخبرة ودرجة من التمكن في العلوم المنطقية التي يقدمونها. انطلاقاً من نجاح برامج الشراكة في الرياضيات و العلوم، يجب على المقترحات العامة أن تستخدم سيابة الباب المفتوح للشراكة على مستوى المجتمع المحلي.



أختر سيمبوزو (EPA) الصورة من

المفتي عبد الوارث نيازي (في الخلف بالوسط) وهو يقدم تفسيراً لجموعه الآيات التي نزلت على النبي محمد والسنة (سنة النبي محمد) وذلك في مدرسة محلية في كراتشي في باكستان . في 23 أيلول من عام 2003 .

البيئية التي ينتج عنها يأس شبه كامل يمكن أن يحوّل أعداء اليوم إلى شركاء الغد.

يستمر الأئمة في قيادة الصف الأمامي مدافعين و حاميين لعقيدهم. إلى الحد الذي يمكننا من مساعدتهم على إدراك أن أكثر الطرق تنورا لعمل ذلك هي عبر التعليم الحر الليبرالي و الذي سنصل للأفضل من خلاله. سوف نضطر لتقديم تنازلات في سبيل تحقيق أهدافنا. لكن، كلما فهمنا (نحن وهم) أن الدين يسمح بنشر المنهج المدرسي، وسائل الإدارة، وسلوك المدرس، نكون قد شجعنا على صراعات أقل، وشك، وعلامات استفهام أقل. إن غرض التعليم هو تكوين الشخص، الحواس، الذاكرة، الخيال، الفكر و الإرادة. حتى أن اليسوعيين و ربما أكثر مبشري الكنيسة الكاثوليكية حماسا فهموا أن "التطور سيكون قاصرا بل خطيرا ما لم يدعمه و يكمله تدريب الإرادة و تكوين الشخصية".³²

النساء المسلمات ينبغي أن يكون على رأس الأولويات. فمن شأنه أن يزيد من القدرة الثقافية للعالم الإسلامي و على كل الاحتمالات سيؤدي ذلك إلى منطقة أكثر أمنا و استقرارا تعمل على تطوير أبنائها وتوفر لهم فرص عمل مجزية ومناسبة.

الخاتمة

لتحديد الاستراتيجيات اللازمة لدحر الطفرة الراديكالية العنيفة في الإسلام التي تصيب عقل المسلم فإن "الحرب الطويلة" المدى تتطلب منا نظرة بعيدة المدى. إن مهاجمة أعدائنا جسدياً تجعلهم أكثر قدرة على التكيف وتُصعب التنبؤ بأفعالهم بشكل أكبر. يجب أن نقضي على العوامل المحفزة التي تغذي معتقدات العنف الإسلامي و أيديولوجيته: الفقر، الأمية، الجوع، و التشرد، و الجريمة، و عدم الطمأنينة. التخفيف من حدة الظروف

من أبعاد الحرب. نسمع هذا في الخطابات. يذكرنا المعلمون والقادة بذلك. نقرأ ذلك في كتب العقيدة والتاريخ و نقبله. إن أهم سلاح علي ارض المعركة هو الفرد المستعد للقتال. لو أن هذا صحيحا بالنسبة لنا فهو صحيح بالنسبة لأعدائنا. ولهذا، يجب أن نتعامل مع والتأثير على التعليم الإسلامي. يجب أن نحاول أن نؤثر سوق أفكار الإسلام. يجب أن نسعى لتطوير العقول المسلمة الشابة بشكل كامل.

و نتيجة لمناهج الدراسة المتخلفة في المدارس الدينية. فان تلك المدارس غالبا ما تثمر عن طلبة يشعرون بالغربة بل برفضهم من قبل عالم سريع التغير يعيشون به. هؤلاء الطلبة «يعانون من عقدة نقص حادة. كارهين لكل فرد يحمل تعليما حديثا.³³ إن مؤشرات البطالة العالية و المثيرة للفرع بين شباب المسلمين هي علاقة تبادلية مباشرة مع التعليم غير الشامل الذي يتلقونه حاليا. نحن ندرك كم هو مهم أن نشرك خصومنا بكل بعد

حواشي

17. أحمد
18. المرجع السابق
19. تيد كارنتر، "العواقب غير المخططة الخاصة بأفغانستان"، جريدة السياسة العالمية (ربيع 1994)، <http://www.questia.com/googleScholar.qst>، sessionid: http://www.questia.com/googleScholar.qst?docId=94486778&1226414131
20. صموئيل ب. هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة ترتيب النظام العالمي (نيويورك: سايمون وشوستر، 1996).
21. جورج باكر، "معرفة العدو: هل يمكن لعلماء الاجتماع إعادة تعريف الحرب على الإرهاب" النيويوركر، 11 ديسمبر 2006، www.newyorker.com/fact/2006/12/11/content/articles/061218fa_fact2، (31 يناير 2007).
22. أحمد
23. جامعة لويولا، "التقرير المؤقت للجنة المراجعة الرئيسية - تقرير 2004-2005" > www.loyola.edu/academics/collegeofartsandsciences/documents/InterimRptCoreReviewCommittee04-05.doc (3 يناير 2007).
24. الكسندر إيفانز
25. سيكاند
26. المرجع السابق
27. سليم علي
28. ميراندا كينيدي، "الإشاعات حول الجهاد"، بوسطن غلوب، 4 أبريل 2004، www.boston.com/news/globe/ideas/articles/2004/04/04/rumors_of_20 > (20 مارس 2008).
29. سيكاند
30. جين سبيرلنج، "سياسة ما قبل التعليم حول التعليم الأساسي العالمي"، www.cfr.org/publication/7167/preemption_policy_on_universal_breadcrumb=%2Fbios%2F9151%2Fgene_b_basic_education.html > (8 يناير 2007).
31. كارول ساكويان، كبير الموظفين التنفيذيين للكتب المدرسية، مقابلة مع المؤلف.
32. جون أنبيري وجون راسل، محرران، راشيو ستوديووم: اليسوعية للتعليم، 1540-1773، www.bc.edu/bc_org/avp/ulib/digi/ratio/ratiohome.html > (8 يناير 2007).
33. أحمد معين الدين، العلماء: هبة ولعنة المجتمع الإسلامي (نيودلهي: كتاب بهافان، 1990)

1. نور خان، "طالبان تفتح مدارس في أفغانستان"، وكالة أسوشيتدبرس، 22 يناير 2007، 31، www.abcnews.go.com/International/wireStory?id=2812095، 31 يناير 2007
2. يوغندر سيكاند، «إصلاح المدارس الهندية»: أصوات المسلمين المعاصرة، (8 يناير 2007) www.uvm.edu/~envprog/madrasah/refromingmadrasahininda.pdf، (8 يناير 2007)
3. أكبر أحمد، "فهم ابن خلدون للحضارات ومعضلات الإسلام والغرب اليوم" جريدة الشرق الأوسط، 56، رقم 1 (شتاء 2002)
4. جيفري جولدبرج، "داخل جامعة الجهاد: تعليم الحارب المقدس" مجلة نيويورك تايمز، 25 يونيو 2000
5. أندرو كولسون، "التعليم والتلقين في العالم الإسلامي" تحليل السياسة، رقم 511، في 11 مارس 2004
6. اللجنة القومية الخاصة بالهجمات الإرهابية، "تقرير لجنة الحادي عشر من سبتمبر: التقرير النهائي للجنة القومية الخاصة بالهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة"، في 22 يوليو 2004
7. اشلي ج. تيليز، "استراتيجية الولايات المتحدة: مساعدة حول باكستان" واشنطن الفصلية، 8، www.twq.com/05winter/docs/05winter_tellis.pdf، 8 يناير 2007
8. تقرير التنمية البشرية 2007، البرنامج الإيماني للأمم المتحدة، <http://hdr.undp.org/reports/global/2004/?CFID=3934873&CFTOKEN=60187169>، 8 يناير 2007
9. روبرت ت. ماكلين: "هل يمكن إصلاح باكستان؟" FrontPageMagazine.com (مجلة الصفحة الأولى) 5 يناير 2006.
10. أحمد
11. عبيد
12. مسئول كبير سابق في إدارة الرئيس جورج دبليو بوش، طلب عدم الكشف عن هويته ملتصقا مناقشة مفتوحة وصريحة
13. سليم علي، "التربية الإسلامية والصراع: فهم المدارس في باكستان"، تقرير لعهد السلام بالولايات المتحدة، جامعة فيرمونت، أغسطس 2005.
14. الكسندر إيفانز، "فهم المدارس" جريدة الشؤون الخارجية (يناير/فبراير 2006)، www.foreignaffairs.org/20060101facomment85102/alexander-evans/understanding-madrasahs.html / 5D
15. القرآن الكريم، السورة الثانية، الآية 115.
16. مارك ستاين، أمريكا مفردها (واشنطن العاصمة: دار رجنيري للنشر، 2006)